

تراث الإنسانية

NYROUF

الانبياءة

لفرجيل



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

د. إبراهيم سكر

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩١



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(فراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلي

المجلس الأعلى لشباب والرياضة

الانجاز الطباعي والنقش

محمود الهندي

مراد نسيم

احمد صليحة

المشارك العام

د. سمير سرحان

الانبياء

لفرجيل

د . إبراهيم سكر

يحتل • فيرجيل • في الأدب اللاتيني نفس المكانة التي يحتلها • هومر • في الأدب اليوناني • كما تحتل ملحمة « الانبياء » نفس المكانة التي تحتلها • الالبان • والأوديسا • • وفيرجيل هو أعظم شعراء عصر • أوغسطس • • وخير شاعر يمثل هذا العصر ويعبر عن أحلامه وآماله • كما أنه أكثر الشعراء اللاتينيين تأثيرا على الأجيال التالية •

إننا لا نعرف عن حياة • فيرجيل • إلا القليل • ومن هذا القليل • الذي اتفق عليه معظم المؤرخين والرواة (١)

(١) ان المصادر الأولى لحياة فيرجيل المستمدة من الرواة

انبياء لد حمص في No. 72 of Litzman's Kleine Texte (Bonn, Weber, 1911) p. 237, n. 8.

وهي تعتمد أساسا على دوناتوس • نيكاس • سيبليوس •

• روسي وغيرهم • فاقن •

Rose, A Handbook of Latin Literature p. 227, n. 6

كما يمكن الرجوع إليها أيضا في : J. Brummer, Vit. Verg. 1912 :

انه يدعى بوبليوس فيرجيلبوس مارو - Publius Vergilius Maro ولد في الخامس عشر من شهر اكتوبر عام ٧٠ ق.م. أثناء قنصلية جنابوس بومبيوس ماجنوس Gnaeus Pompeius Magnus وماركوس ليكيانيوس Marcus Licinius Crassus وذلك في قرية انديس - Andes التي تبعد ما يقرب من ثلاثة اميال رومانية عن ماننول Mantua احدى مقاطعات جالباكسالينا Gallia Cisalpina اي بلاد الغال الواقعة جنوب الالب المناخعة لشمال ايطاليا . وقد أصبح يوم ميلاد فيرجيل قوما بعد عبدا بحقل به الشعراء والادباء كل عام (٢) .

لم يكن فيرجيل ابن . بحكم مسقط رأسه . مواطن رومانيا ، فلم تتمتع المقاطعة التي تنتمي اليها قرية انديس ، بالحق الرومانية الا بعد ان بلغ فيرجيل عامه الحادي والعشرين (٣) . ومن ثم فقد قال البعض انه من اصل غالي أو من اصل اترسكي .

اما عن عائلته فقد حاول بعض النقاد المحدثين (٤)

Martial. XII, 67.

A.S. Wilkins, Roman Literature, p. 50.

M.L. Gordon in Journ. Rom. Stud., 1934.

op. 1-12 ; Cited in Rose, op. cit., p. 238, n. 2.

(٢) قارن

(٣) قارن

(٤) انظر

ان ثبت انها كانت تحتل مركزا محليا هاما ، اذ يبدو ان أمه ، بولا ماجيما Polla Magia (٥) كانت تنتمي الى أسرة منتشرة في ايطاليا ، وتتمتع بمركز مالي لا بأس به . وقد ذهب البعض ان الاسم ، ماجيما Magia المشتق من كلمة « Magus » بمعنى ساحر . كان من العوامل التي ساعدت على خلق الاعتقاد ، الذي ساد في القرون الوسطى ، بأن « ليرجيل » كانت له قدرة عجيبة على سحر (٦) . ولما أبوه قد كان ينتمي الى طبقة الفلاحين (٧) ، ويبدو انه كان يعمل في بادية الأمبر احبوا عند والد زوجته المدعو ، ماجيوس Magius . وقد استنطاع بيده ونشاطه وأخلاصه في العمل ان يكسب ثقله وعطف مخدومه الذي زوجه ابنته ، ومساعدته على تكريس حياته الخاصة ، اذ اتنا نسمع بعد ذلك انه قد أصبح لوالد ليرجيل أرضه الخاصة ، ولا ندري على

(٥) انظر

Probus : 'Natus ... matre Magia Polla, cited in Brummer, op. cit., p. 83 ; Farns : 'Mater Polla fuit Magi non infima probus', cited in Brummer, op. cit., p. 80.

(٦) انظر

J.W. Duff, Literary History of Rome, to the close of the Golden Age, p. 218.

(٧) فاردن

Probus, 'Patre Vergilio rustico', in Brummer, op. cit., p. 83 ; cf. Maer, Satur, V, 2, 1.

وجه التحديد كيف آلت اليه ملكية هذه الأرض ، هل هي
 ثمرة مجهوده وكفاحه . أم آلت اليه كمهر لزوجته ،
 أم أنه ورثها بعد وفاة والد هذه الزوجة . على كل لقب
 شب فريجيل فوجد أن أياه بعثلك أرضا ، وقد كانت هذه
 الأرض سيبيا في تدعيم علاقة فيرجيل بكثير من رجال
 العصر .

أن شخصية كشخصية « فيرجيل » ، حطبت يمثل
 ما حظى به من مجد وشهرة ، لم تكن لترك دون أن يتسح
 حول ميلادها الكثير من الروايات والأساطير . نحكي
 إحدى هذه الروايات أن والد « فيرجيل » ، رأت في سنامها .
 وهي حامل . أنها تلك غصنا من الغار . ما كاد يلمس
 الأرض حتى انقرض نعيمها وتما وترعرع بسرعة عجيبة .
 حتى تحول الى شجرة ياتحة تحمل مختلف النمار
 والأفكار (٨) وتكمل هذه الرواية رواية أخرى تقول يثن
 والد « فيرجيل » ، بينما كانت تسير مع زوجها في اليوم
 التالي لرؤية العلم . جاءها الخاض فجأة ، فانتحرت جاتيا
 من الطريق ووضعت وليدها في أخود (٩) وتروي رواية
 ثالثة بأنه طبقا للطقوس النبعة . قد زرع في مكان مبلد
 « فيرجيل » غصنا من شجر الحور . وقد نما هذا الغصن

(٨) انظر Donatus, in Brummer, op. cit., p. 1.

(٩) نفس المرجع ص ٢ .

بحسوة عجيبة ، حتى أصبح ارتفاعه يربو على أشجار
 الحور التي زرع من منذ أمد بعيد ، وقد سميت هذه الشجرة
 « شجرة فيرجيل » وكانت النساء الحوامل يجلسن إليها ويهزكن
 بها ويقرأون أمامها بعض الأدعية والصلوات (١٠) وهناك
 رواية أخرى تقول أن « فيرجيل » ، عندما أبصرت عيناها
 نور الدنيا ، لم يصرخ كما يصرخ الأطفال عادة ساعة
 ميلادهم ، بل كانت تتجلى على وجه نظرة وضاءة لطيفة
 توحى بالأمل المعقود على مصير هذا الطفل (١١) وسواء
 صحت هذه الروايات أم كانت من نسج الخيال ، فهي دلالة
 واضحة على مقدار ما كان يحظى به الشاعر من أعزاز
 وتقدير .

لقد نشأ « فيرجيل » ورثى في بيئة زراعية بين
 الأراعى والأحراش (١٢) وقد ظهر أثر هذا بوضوح في
 مواضيع كثيرة من أعماله ، وعلى الأخص الرعوبات
 والزراعات . وقد وافقت العشرون سنة الأولى من حياة
 « فيرجيل » تلك الفترة الخطيرة من تاريخ روما ، أعنى
 فترة الحروب الأهلية الأولى التي اندلع فيها بين حزبي

(١٠) نفس المرجع السابق ص ٢ .

(١١) نفس المرجع السابق ص ٢ .

(١٢) تالين .

Maer, Satyr. V, 2, 1. 'rusticis parentibus nato in
 inter silvas et frutices educto'.

« ماريوس » و « سولا » ، وكذلك النضال الزهيب بين
 « قبصر » و « بومبي » ، وعنهما كان « فيرجيل » حبيبا
 في الحداثة عشرة من عسره جاء « قبصر » ليحكم
 الولاية التي تضم « جاليا بكما لينا » ، حيث تعود
 « قبصر » أن يهضي فترة الشتاء . وقد انضمت هذه الولاية
 إلى « قبصر » ، انتقاء بضائه مع « بومبي » : ومن الموكدة
 أن « فيرجيل » قد وضع تحت تأثير سبحر تلك الأسرة
 العظيمة ، أسرة يوليوس قبصر ، التي أشاد فيرجيل
 بأمجادها في أخذك ملحمة كتبت باللاتينية ، أعني
 « الانبادة » ، (١٢) .

ويبدو أن والد « فيرجيل » لم يدخل
 وسبعا في سبيل تعلیم والد « كاحسن
 ما يتعلم أبناء طبقة النبلاء . فبعد أن أتم « فيرجيل »
 مرحلة التعليم الأولى في فريبته وكان قد بلغ الثانية
 عشرة من عمره . أخذ أبوه إلى « كريبونا » Cremona
 ليتلقى ما يعادل مرحلة التعليم الثانوي عند مدرس الأدب
 grammaticus . حيث تمكن من دراسة الأدب والشعر
 اللاتيني دراسة مستفيضة ابتداء من « انيوس » إلى
 « كانولوس » : وقد مكث في « كريبونا » حتى بلغ السادسة
 عشرة من عمره ، وارثي زى الرجال « lupa virilis »

ثم رحل الى « ميلان » عاصمة الولاية في ذلك الوقت .
طُيّا في المزيد من العلم ، حيث تعلم اليونانية على يد من
يدعى « پارميتيوس البيثيني Parthenus of Bithynia »

وقد ساعده ذلك على قراءة روائع الأدب الاعرقي
في لغتها الأصلية ، وبخاصة « هومر » ، « وهبسيود » ،
و « ثيوكرينوس » ، و « ابلو للونيوس الرودى » ، الذين
كان لهم أكبر الأثر على شعره . ويبدو أن « فيرجيل » لم
يجد في « ميلان » ما يشبع نهمه في تلقي العلم ، لذلك قامه
لا يمكن بها الاقتره قصيرة لا تزيد عن السنتين ، ارتحل
بعثعاً الى روما ، التي كانت تعج في ذلك الوقت
بالأساتذة من كل علم وقن ، ليتهل من تعلمهم وآدابهم .

كان على أي فتى طموح أن يختار بين احدى المهنتين
الاسميتين في تلك الوقت العسكرية أو المدنية - وقد
اختار « فيرجيل » - لرقته وضعف صحته ، المجتة الثانية .
ومن ثم فقد كرس جهده في بادئ الأمر للتدريب على
الخطابة ، ليصل الى ما وصل اليه « شيشرون » من بلاغة
ومداحة ولعبته الى قمة المجد والشهرة . وعلى الرغم من
أن « فيرجيل » قد تلقى تعليمه وتدريبه على يد واحد من
افضل أساتذة العصر ، اعنى « ايمنديوس » -
حيث كان يرافق « فيرجيل » في الدراسة « قيصر

أوغسطس ، نفسه (١٤) . إلا أنه لم يحرز أى تقدم ملحوظ
 فى هذا الميدان ، فلم يتراجع أمام القضاء إلا مرة واحدة
 لم تتكرر . ويبدو أن حياته الطبعي وخجله ورقته كانت
 عقبة كاداه ضد عبه هذا السبيل . وعلى كل فأننا نجسد
 آثار هذا التدريب على الخطابة فى خطبه التى جاءت فى
 « الأنبياء » ، كما نجد أيضا ، وعلى الأخص فى الكتاب
 الرابع من الأنبياء ، آثار واضحة لتلك المحسنات
 البلاغية ، التى تركت أثرا عميقا على الأدب فى القرن
 الثالى . ومن ثم فقد ترك « فيرجيل » هذا الميدان عن
 طيب خاطر ، واتجه لدراسة الفلسفة ؛ وكان أستاذه الأول
 فى هذا الاتجاه الفيلسوف الأبيقورى المعروف « سيرو -
 Siro » (١٥) .

ويبدو أن « فيرجيل » قد درس أيضا الطب والعلم
 الرياضية بما فى ذلك الفلك ، فان سعة اطلاعه تبدو جلبة
 واضحة خلال أعماله . حتى لقد استحق بجدارة لقب

(١٤) أنظر :

Probus, II, 6-7 - 'Ut primum se conlunt Romae, studit
 apud Epidium oratorem cum Caesare Augusto.' Cited
 in Brummer, op. cit., p. 67.

(١٥) نأرن :

Catalept., 5, if genuine of Vergil, (no ad beatas vela
 mittimus portus/magni potentes docta dicta sironia,
 villam ab omni vindicabimus cura) cited in app.
 Verg. of O. Ribbeck. 2nd. ed. 1895.

« العلیم - doctus ذلك اللقب الذي أطلقه عليه كل شعراء عصره (١٦) . وفي الجزء الثاني من « الزراعات » نفرة (٤٧٥-٤٩٢) يتجلى فيها إعجاب « فبرجيل » الشديد بدراسة العلم والفلسفة ، فهو يقول في ختام هذه النفرة :
(٤٩٠-٤٩٢) .

« صعيد من استطاع أن يعرف علة طبيعة الأشياء ،
وطرح تحت قدميه كل المخاوف والقدر المحتوم وضجيج
أخبرون السوء » .

وبعد أن أتم « فبرجيل » تعليمه ، عاد إلى مزرعة
أبيه ، وقد مكنته طبيعته ، التي يغلب عليها الخجل
قرض الشعر . ومن المحتمل أن تكون بعض القصائد
والحبايا ، أن يعنزل الناس ويعكف على الاطلاع ومحاولة
القصيرة ، التي ينسبها للبعض إلى « فبرجيل » مثل
Culex, Dirale, Moretum. ثمار تلك الفترة المبكرة
من حياة الشاعر الأدبية .

وعلى أية حال ، فإن أول معلومات أكيدة وصلنا عن
شعر « فبرجيل » يرجع تاريخها إلى حوالي عام ٤٢ ق م .
بعد هزيمة قتله « قبصر » في معركة « فلبيني » وانفصال

(١٦) اسطر
T.E. Page, Aen. VI Intr. n. V. E.J.K. Catapult.
89.

العالم الرومانى الى بد الحكومة الثلاقية المزلفة من
 « أوكتافيوس » . . « انطونىوس » . . « لبيدوس » . . لقد
 وعد المنتصرون جنودهم (١٧) بأرض كئبر من المدن
 الايطالية . من بيننا بلدة « كرمونا » والحدود الجارة
 لها بما فى ذلك بلدة « مانتوا » (١٨) ومن الطبيعى ان
 دفع مزرعة والد « فيرجيل » تحت طائلة هذه المصادرات .
 ولكن الشاعر الشاب فيرجيل . . كان قد حظى برضاء
 « جايوس اسبقيوس بوليوس » *Gaius Asinius Pollis*
 الذى كان يحكم ولاية « جالباكمبا لييفا » عام ٤٢ ق م .
 وكان هؤلاء الاخرين ادياء وشعراء (١٩) كما حظى برضاء
 خليفته فى الحكم وهو « الفينوس فاروس » *Alfenus*
Vaus (٢٠) وكانا من أعضاء لجنة توزيع الاراقى
 على الجنود . فالتحق اليها طالباً للمعونة . فنصحناه بأن
 يلجأ الى قبضى الشاب على روماً وفعلنا بمهد له « بوليوس »

...

- (١٧) قارن الدعويات ٦ ، ٧٦ :
"Impius haec tam novatis miles habebit"
 وانظر ايضا الدعوية ٩ . ٢ - ٦ .
 (١٨) انظر الدعوية ٩ ، ٢٧-٢٨ :
Vare, Tuum nomen, superet modo Mantua nobis./Mantua
Voe miserae alium Vicina Crimoniae.
 (١٩) قارن هوارس . ص ٦ . ٢ . وقد نقل فيرجيل بالثناء
 عليها فى الدعوية دراسة . كما اهدى اليه الزهوبات البكرة . قارن
 الدعوية .
 (٢٠) وقد نقل فيرجيل بالثناء عليه فى الدعوية السادسة .

سبيل الخفاء باوكتافوس (٢١) . والأمر الذي ساعده في الحصول على قرار باسترداد مزرعة أبيه . وقد عبر ، فيرجيل ، عن امتنانه وعرفانه بالجميل للحاكم الشاب ، « اوكتافوس » وذلك في زغوبته الأولى : (٦-١٠) .

« أي ميثيبوبوس . أن من منحني هذا النعم ليأله ، وسبيل في نظري لها دائما . ذلك الذي سبروي منبجه دائما دم حمل وديع من حظائونا . فهو الذي سمح لي بأن أعزف على ناي الخشبى ما طاب لي من الحان » .

وذلك ردا على قرار « اوكتافوس » بإعادة الأرض اليه ، ذلك الفرار الذي جاء في نفس الرعوية على لسان « فيرجيل » كما يلي :

« اطلقوا الأبقار في المرعى . كما كنتم تفعلون من قبل أيها الغلمان . وارسلوا الشبران » (٢٢) .

ومنذ ذلك الوقت عاش « فيرجيل » بين روما ونابلى ، حيث نظم فيها كتبه الأربعة عن الزراعات (٢٣) . انتهى

(٢١) انظر : .

Schöl. Don on Bri p. 10 'carmina' quibus sibi Poliamem interessorem apud Augustum concilians: Cited in T.E. Page, Bucolles, Intr. p. XIII, n. 1.

(٢٢) الرعوية الأولى . ١ .

'Pasci' ut ante Inves, submitte toures'.

(٢٣) تارن الزراعات . ١ . ١٦٢-١٦١ .

استغرقت ما يقرب من سبع سنوات (٢٤) من
 ٢٧ - ٣٠ في م . وقد أصبح واحد ممن يتعنون
 بعطف ورعاية وصداقة امبراطور المستقبل : كعسا أن
 الرعوبات . التي كتبها في ثلاث سنوات تبدأ من حوالي
 ٤٢ في م . قد اكسبته بعض الشهرة . ولغثت اليه نظير
 « مايكيناس » Macconae . الراعي الأول للفنون والآداب
 في ذلك الوقت ووزير « أوغسطس » : وكان يجتمع في
 قصره على تل « اسكوبليني » جماعة من الأدباء المنازين .
 وقد أصبح « فبرجيل » أحد هذه الجماعة . بعد أن قدمه
 « بولبو » الي « مايكيناس » . « وفبرجيل » هو بلا شك
 الذي قدم بدور الشاعر « هوراس » الي ذلك
 الوزير (٢٥) . وقد ظل « هوراس » يحتفظ له بهذا
 الجميل . الذي وطد العلاقة بين الشعاعين . حتى لقد كان
 « هوراس » يعتبر « فبرجيل » نصف روحه animae
 « dimidium » (٢٦) . ويضمه في منزله أعز الأصدقاء .
 كواحد من تلك الأرواح التي لم تر الدنيا مثلها في النقاء
 والطهارة (٢٧) .

(٢١) انظر :

Donatus, ult. 'Bucolica Triennia, Georgica VII. Aeneida
 xl perfecti anni).

(٢٥) انظر هوراس . الهجائيات . ١ . ٦ . ٥٤ . فارن

(٢٦) انظر هوراس الأغاني ١ . ٣ . ٨ .

(٢٧) انظر هوراس . الهجائيات ١ . ٥ . ٤ .

لقد أمضى « فبرجيل » سبع سنوات . تنتهى عام ٢٠ ق م . فى كتابة « الزراعات » ، ثم كرس البقية الباقية من حياته فى كتابه « الانبادة » . وقد استغرق ذلك ما يقرب من احدى عشر سنة . ولكن « فبرجيل » لم ينشأ نشر عمله الا بعد تنقيحه ومراجعته . ثم اعززم الغيام برحلة الى الشرق لزيارة بعض المعالم التى ورد ذكرها فى عمله . وأثناء زيارته لبلاد اليونان ، التقى فى « أثينا » بالامبراطور « أوغسطس » ، الذى كان عائداً من « ساموس » . وصحبته فى طريق عودته الى ارض الوطن . ولكن صحة « فبرجيل » التى كانت غابة فى الضعف ، قد انحطت الى بسفه تعرضه للحر الشديد فى « حيجارا » . ولم يكمل يصل الى « ابطاليا » حتى دهمه الموت فى « برونديسيوم » فى العشرين من سبتمبر عام ١٩ ق م . . ونقل جثمانه الى « نابلى » ودفن فى قبر على الطريق المؤدية الى « بوتبولى Puteoli » (٢٨) وقد اُضيف هذا القبر فى العصور التالية محل تبجيل أسطورى (٢٩) .

والنفس الذى يقال انه كان مصفورا على قبره ،
والذى نسبته البعض خطأ الى « فبرجيل » نفسه (٣٠) به

- (٢٨) انظر :
Cyril Bailey, Oxf. Class. Dict. p. 9-19.
(٢٩) تارتن بلينز الأصغر ، الرسائل ٢ . ٧ .
(٣٠) تارتن : -

Duff, op. cit. p. 320.

إشارة إلى أصل مبلاده ومجاءته وذنبه وإلى موضوعات
أعماله الثلاثة العظيمة :

لقد انجبننى مانتوا . واختلطتني كالابربا . ونمستك
بى الآن بارثينوبى (نابلى) : وقد تغنيت بالمرامى والربف
والقواد (٢١) .

وقيل ان نعرض اعمال « فيرجيل » . يجب ان ننذكر
ان الشعر اللاتينى ، باستثناء الهجاء فبما يقال . قد نهض
أساسا على محاكاة النماذج الاغريقية بوجه عام . وكان
قرار الدوائر الثقافية . الذى كان « فيرجيل » يكتب لها .
ينحرفون عن كل قصيدة يعتمد كانبها على نظريته لمعجب .
وبرحبون بإعادة انتاج الروائع الاغريقية . وقد وضع
« هوارس » للشعراء القاعدة التى تحقق لهم النجاح فى
هذا المضمار :

« ادرسوا النماذج الاغريقية . وتأملوها أثناء الليل
وأطراف النهار » (٢٢) .

• (٢١) انظر المرجع السابق ص ٢٢٠ :
Manuta me genuit, Calabri rapuere, tenet nunc.
Parthenope : Cecini pascua, rura, duces'.

(٢٢) هوراس : فن الشعر . ٢٦٨ :
... Vos exemplaria Graeca nocturna versate manu,
versate diurna !

ويؤكد لنا سنيكا الأكبر (3 . Sua) ان فيرجيل قد أخذ عن
الاغريق .

ان « الرعويات » تمثل أول اشعار مؤكدة للشاعر عادة Boukolika — Bucolica « بطلق عليها أحيانا اسم « فبرجيل » ، وهي تتألف من عشرة فصائد قصيرة ، تسعى Eclogae بمعنى مختارات « كان شعر مدرسة الاسكندرية أحب ألوان الشعر دراسة في ذلك الوقت من تاريخ الأدب اللاتيني (٢٢) ، وكانت رعويات « ثيوكريتوس Theocritus » التي بطلق عليها اسم « ايديليا Idylla » كثر اشعار مدرسة الاسكندرية سحرا وجاذبية . وكلمة « ايديليا » معناها ، صورة قصيرة ، تصور في معظمها حياة الرعاة وحياة الريف . وغالبا ما تأخذ شكل الحوار . ويرجع أصلها في الغالب الى خب الموسيقى والولع بالأغاني ، اللذين ساعد على تطورهما سهولة وبساطة الحياة الرعوية في الجنوب ، مما بشبع جوا من البهجة والسعادة (٢٤) ، كما يرجع أيضا الى عادة التنافس في الغناء والى الارتجال الذي كان شائعا في الأعباد الريفية . وعلى الأخص بين الدوربين ، الذين كانوا يشكلون جزءا كبيرا من المستعمرات في صقلية . حيث أمضى « ثيوكريتوس » معظم حياته ، رغم

(٢٢) انظر :

Jebb, Primer of Greek Literature, part III, ch. I.

(٢٤) قارن لوكريتيوس ، عن طبعة الأنشبا ، ٥ ، ١٢٧٩ وما

بعده .

أنه ولد في جزيرة كوس - Cos - وأمضى بعض الوقت في الاسكندرية (٣٥) . . .

ورغم أن رعويات ، فيرجيل ، من ناحية الشكل ، تعتبر محاكاة لرعويات ، ثيوكرينوس ، إلا أنها تختلف عنها في الجوهر . فرعويات ، ثيوكرينوس ، مرتبطة بالطبيعة الحقة ، فالمناظر واقعية ، والرعاة حقيقيون من لحم ودم بندقون حيوية . أما رعويات ، فيرجيل ، فبغلب عليها طابع الصفة والفن ، فهي صور مثالية للحياة الريئية ، كتبت لتناسب الذوق الرفيع لغراء عاصمة العالم المثقفين (٣٦) . وقد لاحظ ، هوراس ، (٣٧) أن أهم ما يميز هذه الرعويات هو الرفقة والرشاقة Rutuli atque facetum . ولكن لو تأملنا رعويات ، فيرجيل ، بتمعن ، لأدركنا أن ، ثيوكرينوس ، لم يكن بأي حال النموذج الوحيد الذي أخذناه ، فيرجيل ، فمما لا شك فيه أن ، فيرجيل ، قد أحب ، هيسبيود ، وتأثر به حتى قبل أن يقدم على كتابة الرعايات . كما أنه لا بد وأن يكون قد وقع تحت تأثير شعراء روما السابقين عليه ، فبعض

(٣٥) انظر :

T.E. Page, Virgil, Bucolics, inter, p. xviii.

(٣٦) المرجع السابق ص ١٩٨ .

(٣٧) انظر هوراس ، انهجانيات ، ١ ، ١٠ ، ١١ .

حركات. عروضة تذكر المرء بـ كاتولوسن (٢٨) . وفي الرعوية السادسة المهداة الى « فاروس » ، تبدأ أغنية « سيلينوس » ، بقصة نشاط العالم على نهج « لوكربنيوس » ، بتعبيراته وأنغامه . وهذا هو بعض أدبنا هذه الأسطورة (٢٩) .

فقد أخذ ينشد كيف أن العناصر الأولى للأرض والهواء والبحر والماء الناري قد التفت معاً في الفضاء العظيم ، وكيف نشأت من هذه العناصر الأولى بداية كل الأشياء ، وكيف تشكلت الكرة الأرضية الدقيقة نفسها ، ثم كيف بدأت متصلب ونحتجز البحر في الأعماق ، ونكون أشكال الأشياء ووبدا رويدا ، وكيف أن الأرض تدهل الآن من الشمس الجديدة التي تشرق من عل ، وكيف يستغل المطر من السحب المحلقة عالياً ؛ ومتى تبدأ الغابات في الظهور لأول مرة . ومتى تنجول الحيوانات القليلة بين الجبال التي لا نعرفها . وبعد ذلك يشير إلى الصخور التي التقنها ببراً ، وإلى معالكم سانورثوس ، وإلى الطيور الفوقاوية ، والتي سريقة بروميثوث .

وفي هذا ما يدل على أن فيرجيل كان يرى أماكن قبول الأبحاث الفلسفية كموضوع لشعره بجانب الموضوعات

Duff, op. cit. p. 323.

(٢٨) قارين :

(٢٩) الرعوية السادسة ، ٣١٠ وما بعده . قارين - لوكربنيوس عن طبيعة الأشياء . ، ٢٢٥ وما بعده .

الأسطورية . وعلى كل فانه يكاد يكون امر مستحيلا ان
بحصى المرء جميع مصادر « فبرجيل » التي اعتمد عليها
وسار على نهجها . وقد لاحظ « ماكروبيوس » (٤٠) ان
علم « فبرجيل » يميزه حياء نصف صامت وخفى بجعل من
الصعب الاقتراء الى ينابيع علمه .

ومهما قبل عن التناقض وغلبة الصنعة في
الرعويدة . لا يستطيع احد ان ينكر اخلاص هذه الأشعار
في حبها للطبيعة واهتمامها بالجمال . ونوفيقها في توصيل
هذه التأثيرات الى نفس القارئ . فالشاعر يجعل أهل
الريف يتغنون كما لو يتغن أهل ريف من قبل : ففي
« أركاديا » التي صورها فبرجيل على نهج
« ثيوكريتوس » ، وان كان قد زينها بحديث امتزجت فيها
المنظر الايطالية بالمنظر الصقلية في تناقض يشبه تناقض
الأحلام ، يشدو رعاة مثاليون منغمين بحبهم لراعيات
مثاليات . ذاكرين آمالهم وأحوال ياسهم وهم يتبارون على
نهج لا حثيل له بابيات ينمدها كل بدوره (٤١) . فهنا
« أركاديا » ليست مقدمة للتحليل بل للصنعة والتذوق :
قطعة من أرض الجنوب ذي الشمس المشرقة والأشجار
المورقة والظلال الوارفة ، حيث يسير الناس الهوينى بين

(٤٠) أنظر ماكروبيوس . مائورناليا . ١٨ قر أوله . قارئ .

(٤١) أنظر الرعية السابعة ، قارئ .

Duff. op. Cit. p. 323.

الراعى والقطعات والحشائش والزهور والتلال والكجوق .
 وحتى عندما تسمع اصدااء الحرب والمصادرات التى نجحت
 عنها ، فإتلك تحس أن موسيقى « قيرجيل » قد طقت عليها .
 فأتين أحدهم على مصادرة أرضه ، يقابله من ناحية أخرى
 فيجبل المعترف بالجميل لأركتافوريوس الإله الذى يمنح
 السلام (٤٢) وإن الرعويات مليئة بقلك اللمسات التى
 تكشف عن شعور رومانتيكى نحو الطبيعة والهروب من
 حتمارة المديقة (٤٣) .

وعلى كل قان رعويات « قيرجيل » كانت شبيها جديدا
 على الرومان ، فالى جانب جمالها ومواطن سحرها ، كانت
 متقنة من الناحية الفنية ، فقد نجح « فيرجيل » فيما فشل
 فيه غيره ممن سبقوه . فخلق من اللغة اللاتينية انتماسا
 وادباعات رائعة لم يسمعها الرومان من قبل ، ومن ثم
 فقد لاقى الرعويات نجاحا كبيرا بمجرد قلهورها ، حتى
 ليقال أنها كانت تلقى على المسرح بحماس عظيم (٤٤) .
 وهذه الأشعار هى التى متحتة فرصة الدخول فى بلاط
 « أركتافوريوس » والحصول على رعاية « مايكيناس » .

(٤٢) انظر الرعوية الأولى -

(٤٣) انظر على الأخص الرعوية الأولى ٥٦ وما بعده . الرعوية
 الخامسة ٤٥ وما بعده . ٨١ وما بعده . الرعوية الثامنة ٣٧ وما
 بعده .

(٤٤) قارن تاكيتوس ، محاوراة حول القطياع . ١٣ ، ٨٦ -

ومكنه من احتلال مكانه اللائق به كشاعر للطبيعة
والحياة الريفية . وليس معنى ذلك أن . فيرجيل . قد بلغ
ذروة الكمال الفني في هذه الأشعار . فصار زال أمامه
خطوات يخطوها نحو الكمال عندما تناول موضوعات
أسمى وأجل وهذا ما نراه في عمله النال . الزراعات .

و . الزراعات ، كما يدل عليه . *Georgica* » عبارة
عن مقالة عن شئون الزراعة وما يتعلق بها وقد كتبها
« فيرجيل » نلبية لرغبة « ماكبيناس » . (٤٥) . كما أنها
مهداة إليه . فمنذ نشر الترغوبات وقد أصبح فيرجيل أحد
رجال الأدب الذين تعتمد عليهم الدولة في الدعاية
لمشروعاتها . وقد كان أحد المشروعات الهامة . التي
واجهت « أوكتافيوس » ووزيره « ماكبيناس » . صد الخطر
الداهم الذي يهدد إيطاليا ، أعنى خطر إهمال الأراضي
والهجرة من الأرياف . فليس بمعجيب أن أن يشهر
« ماكبيناس » على « فيرجيل » بكتابة هذه المقالة عن
« الزراعات » كوسيلة من وسائل الدعاية بقلم شاعر
أثبت بمقدرة فائقة على التعبير عن مثل هذه الأمور في
الترغوبات ، وذلك بمهارة لم يسبق لها نظير .

تتألف « الزراعات » من أربعة كتب ضحوى في

(٤٥) الزراعات . ٢ . ٤٢-٤٦ :

E... tuu, Maecenas, haud mollis iussa : te sine nil altum
meus inchoat. 6

جعلتها على ٢٦٨٨ بنياً . وإن أهم ما يميز « الزراعيات » هو أحكام صقلها ، فقد كتبت على مهل وبغناية فائقة ؛ فلو سلعنا بأنها كتبت فيما يقرب من سبع سنوات ، لكان متوسط ما كتب في اليوم الواحد أقل من بيت واحد . ومن ثم فقد صقل كل بيت صقلا تاما ، أو على جد قول « فبرجيل » نفسه فيما يقال « كان يلمس أبياته ليعطيها شكلا كما تفعل الدبة بأولادها » (٤٦) ولذلك فإن الزراعيات تعتبر أحسن ما أنتج ، فبرجيل « من تاحية المهارة الفنية ، بل أروع ما يكتب باللاتينية في الشعر التعليمي ، لا يدانها إلا عمل « لوكريتيوس » المعروف باسم De Rerum Natura أي « عظم طبيعته الأنسياء » .

وبمعالج الكتاب الأول من « الزراعيات » موضوع زراعة المحاصيل والعلاقات الدالة على تغليات الجو ؛ ويتحدث الثاني عن زراعة الأشجار لا سيما أشجار الكروم والزيتون ؛ ويتألف الثالث موضوع تربية الماشية ؛ والرابع يعترض موضوع تربية النحل ، الذي يبدو أنه كانت له أهمية أكثر مما له الآن ، باعتبار أن عسل النحل كان

(٤٦) انظر جيلوس ، الليالي الاتبيكية ، ١٧ . ١٠ . ٢ .
Epurare se versus more atque ritu urisino.

تارن دونانوس . حياة فبرجيل :
Carmen se more parere dicens et lambendo effingere.

ونان :
 Duff. op. cit., p 320.

المصدر الوحيد للحصول على مادة السكر ، ويختم فبرجيل هذا الموضوع بمشهد أسطوري يحتل ما يقرب من مائتي وخمسين بيتاً (٥٥٨-٥١٥) يحكى فيه « فبرجيل » كيف أن الراحه « أربسناجوس » كان السبب فى موت « بوريديكى » زوجة « أوروپوس » . ومن ثم فقد غضبت عليه أخوانها عرائس الغاب وافتنقن منه بأن دمرن جميع خلايا نحلها ، فذهب الى أمه « كبرىنى » يستشيرها فى هذا الأمر . فنصحتة بأن يذهب الى « بروتيوس » فعنده الخبر اليقين . فبكثيف له هذا عن سبب ما فزل به من دمار . وبطلب منه أن يعمل على تهدئة عرائس الغاب بتقديم بعض الثيران كاضحيات . وقد خرجت من جيب هذه الثيران أسراب جديدة من النحل .

ان عملاً كهذا . كان من الممكن . فى يد شاعر آخر غير « فبرجيل » . أن يحوّل الى قصيدة تقبض بالمديح والثناء على السياسة الزراعية للدولة . أما « فبرجيل » فعلى الرغم من أنه اتقى على « اكتافايوس » وسباسبته الزراعية أكثر من مرة (٤٧) . إلا أنه خصص كل العمل لوصف الأمور الزراعية . كما براها هو باعتبارها أحد

(٤٧) انظر على الأخص الزراعات ١ . ٤٩٨ وما بعده وهى شعرة خالصة لالهة روما أن نبغى على أوكتافايوس ليعمل على انقاذ الدولة من الدمار . وانظر أيضا الزراعات ٣ . ١٠ وما بعده .

الزراع ، الذين يحبون الحياة الريفية ويعرفون كل ما فيها
من خلابة ومراة .

والصدر الوحيد الذى يعترف « فبرجيل » بمحاكاته
هو « هيسبود » « شاعر أسكرا » المعروف ، ان يقول :
« انى انغنى بشعر أسكرا فى البلدان الرومانية (٤٨) »
وعمل « هيسبود » ، الذى يقال ان « فبرجيل » قد سار
على نهجه ، هو « الأعمال والأيام Erga Kai Hemera »
وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح والارشادات
وضعت فى قالب شعري ، ومثل هذا النوع كان يطلق عليه
اسم « الشعر التعليمي » ، لأن غرضه الاساسى هو التثقيف
والتبذيب ، فلم تكن الكتابة معروفة فى العصور القديمة
أو كانت قليلة الاستعمال ، ومن ثم فإن هذه الحكم
والنصائح والارشادات غالبا ما كانت توضع فى قالب
شعري ، والسبب فى ذلك بسيط معروف ، وهو انها ،
وهى فى القالب الشعري أقل تعرضا للنحريش والتفجير
والتبديل ، كما انها أسهل فى الحفظ (٤٩) وحتى عندما
أصبح الشعر الفنى معروفا وشائعا ، فإن بعض الفلاسفة كانوا
بحارون جعل موضوعاتهم أكثر شوبغا بوضعها فى القالب

(٤٨) الزراعات ٢ ، ١٧٦ :

'Aseracum cano Romana per opida carmen'.

(٤٩) غارون كوينيليان ، حول تعليم الخطيب ١ ، ١ ، ٣٦ ، ٩ ، ٣ ،

٢٩٠

الشعري (٥٠) ولكن صلة « فيرجيل » بعمل « هيسبود »
نقل كثيرا عن عمله برعوبات « نيوكربثوس » . ومن
الراضح أن مصابير فيرجيل كثيرة متعددة : فمن
« نيكاندروس » استعار « فيرجيل » الاسم « Georgica »
وقد فقدت ولا تعرف الى أي مدى تأثر بها « فيرجيل » .
ومن الممكن أن يكون الكتاب الرابع لزراعيات « فيرجيل »
محاكاة لعمل آخر لنفس الكاتب يسمى « تربية النحل »
Melissurgica . وقد فقد هذا العمل أيضا . ومما
بدل على أن « فيرجيل » كان ينقل عن هذا الكتاب أن وصف
« فيرجيل » للشعبان (٥١) يشبه ما جاء عند « نيكاندروس »
في عمله الذي وصلنا كاملا وهو « الترياق » Theriaca .
ولا بد وأن يكون « فيرجيل » قد رجع الى « أيراتوستينيس »
عند حديثه عن الأجرام السماوية (٥٢) . والى « أرائوس »
عندما تعرض للعلامات الدالة على تقلبات الجو (٥٣) .
وقبل أن يبدأ « فيرجيل » الكتابة بوقت قصير . كان
« لوكربثوس » قد وضع فلسفة « أبيقور » في عمله الشعري

(٥٠) قارن لوكربثوس . عن طبيعة الانبياء . ١ . ٩٢٦ وما

بعده .

(٥١) الزراعيات . ٢ . ٤٧٤ وما بعده .

(٥٢) انظر : الزراعيات . ٢٢٦ وما بعده .

(٥٣) انظر : الزراعيات . ١ . ٣٢٦ وما بعده .

قارن :

Duff, op. cit., p. 327.

المعروف باسم De Rerum Natura ومما لا شك فيه ان تلك القصيدة الرائعة كانت في ذهن « فيرجيل » وهو يكتب « الزراعيات » (٥٤) ومع ذلك فان « فيرجيل » بخلاف اخلاقنا بننا عن كل من اخذ عنه وتأثر به . فقد كتب « هيبوروس » شعرا تعليميا . لأنه كان مفيدا على ابامه فائدة عملية . وكتب فيه « لوكريتيوس » لأنه وجد فيه وسيلة جدابة لجنى ثمرة ما اعتقد أنه الحقيقة الفلسفية . أما غرض « فيرجيل » فانه يكن التشفيف بقدر الامتناع ؛ حقيقة ان ما كتبه « فيرجيل » هو نتاج عقل راجح . حتى لقد استشهد به بعض العلماء مثل « بليني الأكبر » في تاريخه الطبيعي و « كولوميل » في عمله « عن الريف » « De Re Rustica » . وأن حبه للزراعة وللريف هو حب صانع بلا أدنى جدال . ولكنه كان يكتب ليرضى الشوق الفني والأدبي الخرائث . بالإضافة الى غرضه العملي . ولذلك فقد نثر « فيرجيل » خلال الموضوعات العلمية كثيرا من العناصر القومية والدينية والأسطورية والخيالية . ليزين بها التفاصيل الزراعية التي قد لا تنبر اهتماما . حتى لقد استمتع « فيرجيل » ان يخلق شعرا من أشياء لا تمكن

(٥٤) انظر « على الاخص الزراعيات ١ » ١٢١ وما بعده . حيث ينجح فيرجيل عرض لوكريتيوس لمحبة الانسان البدائي . تارن لوكريتيوس . عن طبعة الاشياء ١ . ٤١٥ وما بعده . ٥ / ١٩٠٥ وما بعده .

بها آتني شاعرية ، وغد عبر ، فبرجيل ، عن عدم ثقته
في نفسه وهو بنعوض لخل هذه الموضوعات التافهة (٥٥) .

نأتي الآن الى بيت الفصيد في هذا المقال . اعني
« الانبادة » ، لقد بدأ « فبرجيل » في كتابتها حوالي ٢٠ ق م
وهو في سن الأربعين . وقد عكف على كتابتها الاهدى
عشرة سنة الأخيرة من حياته . ومع ذلك لم ينه من
تدقيقها . بحيث برضى عن نشرها . فقد كان بها كثير من
انصاف الأبيات التي لم تكتمل . حتى لقد أراد « فبرجيل »
أن يقوم بتدبير هذا العمل الضخم حين وافقه المنية .
لولا تدخل الامبراطور « أوغسطس » وعمل على انفاذه ،
فامر « قاربوس » و « توكا » أن يقوموا بنشر « الانبادة »
على أن يحذفوا الزبادات دون أن يضيفا شيئا من عندهما .
وعلى هذا ، وبعد مرور عامين على وفاة « فبرجيل »
أي حوالي عام ١٧ ق م . طُبعَت على العالم ملصحة
« فبرجيل » الخالدة « الانبادة » التي نبت لها « بروبيرتيوس »
بانها ستكون « شيئا ما أعظم من الانبادة » . (٥٦)

(٥٥) انظر مثلا الزراعات ٣ . ٧٨٩ - ٢١٠ . وهو مقدم على
موضوع الفم والماء . وانظر أيضا الزراعات ٤ . ٧٠٦ . عندما
يقترح موضوع النحل !

Duff, op. cit., p. 326 ff.

(٥٦) انظر بروبيرتيوس . ٣ . ٦٦ . ٦٤ :

'Cedite Romani scripores, cedite Grae, Nescio quid melius
nascitur illud'.

ويبدو أن « الانبادة » لم تكن أول محاولة بنوم بها ، فبرجبل ، لكتابة الملاحم ، فقد سبقتها بعض المحاولات التي لم يكتب لها النجاح (٥٧) ومع ذلك فإن « فبرجبل » لم يياس ، فقد أعلن في الإبيات الإفتتاحية من الجزء الثالث للزراعات عن عزمه على محاولة الكتابة في موضوع أكثر صعوا ، حيث يقدم ملحمة عظيمة يكون « قيصر أوغسطس » الشخصية الرئيسية بها (٥٨) . وقد ولفي « فبرجبل » أكبر توفيق أن اختار قصة « أنيباس » لتكون الهبكل الذي يبني عليه ملحتمته ، ولم يحاول أن يكتب ملحمة تاريخية بقيقة ، فلم تكن الحروب ، التي شبت بين فتلة قبصر والحكومة الثلاثية ، لتعده بالمادة الغنية التي أمدته بها قصة « أنيباس » ، فهذا الاختبار مكنه من مزج الحقبفة التاريخية بالخبال الأسطوري . ومن ثم جاءت ، الانبادة ، ملحمة قوية وطنية قصد بها ربط أصل

(٥٧) قارن الرعيتا ٦ ، ٥-٢ :

'Cum canerem reges et proelia, Cynthis aurem/vellus et admonuit : pastorem, Tityre, pingues/pascere oportet oves, deductum dicere carmen.'

قارن أيضا بونانوس ، حياة لبرجبل ، ١٩ :

'Cum res Romanas incohasset, offensus materia, ad Lucofica tran ill'.

(٥٨) انظر على الأخص الزراعات ٢ ، ١٦-١٨ :

Mos tamen ardentis accingar dicere pugnas Caesaris, et nomen fama tot ferr eper annos, Tithoni prima quot abest ab origine Caesar.

الرومان . وعلى الأخص الأسرة العائلية ، بالآلهة والأبطال
 العظام^{٥٩} كما قصد بها أيضا ، ولو بطريق غير مباشر ،
 نعتبد كثير من عادات وطقوس الرومان ، وذلك بربطها
 بعادات وطقوس عصر الأبطال . ثم أن « ابنياس » وأنباغه ،
 باصرانهم على أحرار النجاة ، رغم اعتمادهم على الآلهة
 في حل جميع الصعوبات والمخاطر التي واجهتهم ، يمثلون
 خير تمثيل تلك الفضائل والمميزات التي عملت ببطء على
 تأسيس الامبراطورية الرومانية وتدعيمها ، بينما
 « ابنياس » نفسه ، باعتباره الحاكم الأبوي لشعبه :
 قائدهم في المعركة ، وواضع تشريعاتهم في وقت السلم ،
 وكاهنهم الأعظم في كل ما يتعلق بالطقوس الروحية
 والدينية ، يمثل بوضوح شخصية « أوغسطس » مؤسس
 الدولة الجديدة (٥٩) .

والإنابة تتألف من اثني عشر كتابا تحوي على ما
 يقرب من ٩٨٩٦ بيتا . فهي عمل ضخم جدا ، حتى أن
 الامبراطور قدي على عليه بأن « فيرجيل » عندما بدأ هذا
 العمل ، كان ولا بد في حالة من حالات ذهاب العقل (٦٠) .

(٥٩) انظر :

T.E. Page, Virgil, Aen. VI, Intr. p. XVIII Sellar's Virgil,
 p. 344.

(٦٠) امطر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١ ، ٢٤ :

"Tanta incohata res est ut paene vitio mentis tantum
 opus ingressus mihi videar,"
 Duff, op. cit., p. 321.

تصف الكتب السنة الأولى تجوال أبنياس ومغامراته .
 بينما تصف الكتب السنة الثانية حروبه ومعاركه : فكان
 الملحمه الرومانيه انن تمثل ملحمتي « هومر » الأوديسسا
 والاثينا . كما انها تفسر على مزايلهما في معظم
 اجزائها . وان كان هناك أيضا بعض الأجزاء التي نسجت
 على منوال « الأرجونيك » التي كتبها « أبو اللونيوس »
 الرودي . الشاعر السكثري المعروف الذي اذهر في
 الفترة ما بين ٢٢٢ ، ١٨١ ق م .

لقد افتح فيرجيل ملحمنه بالأبيات التالية : (٦١)

اني انغني بالسلاح وبالرجل الذي قدر له ان يكون
 اول من باثى من شواطئ طرداده وبصل الى ابطالها
 وساحل لاقيونيوم ، رغم انه كتب عليه ان يكون طريدا ؛
 لقد فاسى ذلك الرجل ونعذب في البر والبحر بقوة من
 السماء ، وذلك ارضاء لفضب جونو الذي لا يهدأ ولا
 يخبئ ؛ كما نحمل الكثير في المعارك الحربية ، قبل ان
 يتمكن من تشييد حدينة وتدعيم المهنة في اقليم لاينيوم ؛ وقد
 انى من صلبه العنصر اللاتيني وسادة البيا وروما ذات
 الاسوار الشامخة .

(٦١) لقد اخضنا اسطورة تاسيس روما بشيء من التخصيل في
 مقال آخر بعنوان « الاساطير الرومانيه » . نشر في نفس هذه السلسلة .
 العدد الثاني من المجلد السادس . أبريل عام ١٩٦٨ .

وكما فعل « هومر » في « الأوديسا » ، فعل « فيرجيل »
أبصا في « الأتيادة » . فلم يبدأ الأحداث منذ سقوط طروادة
وبداية حناعات « اينياس » Aeneas . بل بدأها وقد
أوشك « اينياس » أن يصل الى غايته ، فقد كانت إيطاليا
على مرأى العصر ، لولا ، جونو Juno « عدوة
الطرواديين اللدودة » ، منذ حكم « باريس » بالتقاحة
الذميمة لفيتوس ! فقد كانت تعلم أن نهاية قرطاجة ، وهي
أحب مدينة لديها ، ستكون على يد رجال من طروادة بعد
أن يؤسسوا لانفسهم امبراطورية أخرى جديدة أشد
واعظم . ومن ثم فإن ، جونو « قد استطاعت أن تستميل
« ابولوس Aedon » اله الرياح ، فيرسل عاصفة هوجاء
نعصف يأسطوله الذي جرفه التيار قريبا من ساحل
المرقبا الخطر ، ولكن نيبوتونوس Neptune « اله البحار
أحسن » بالعاصفة ، فأبركه برحمته ، فجعل المباء تهبط
والأمواج تخذل الى السكون . لقد غمر اليم ثلاثا من « سن
« اينياس » . ولكن البقية الباقية وصلت ساعة الى مواقع
مختلفة من الساطى . وفي اليوم التالي توغل « اينياس »
داخل البلاد . يصحبه نايمة الخلف « اخاتيس Achates »
حتى وصل الى مدينة قرطاجة . وفي الطريق تقايله أمه
الالهة « فينوس Venus » . وكانت قد اطلعت من
« جوبيتير Jupiter » على المصير المرائع الذي قدر لمدينة
« روما » . فتخيره بأن « ديدو Dido » هي حاكمة
هذا الموطن الجديد . فقد هربت من موطنها الأصلي

« تيرى » يعد مقتل زوجها السابق « سيخابوس Sycharus » . « لقد استقبلت الملكة « ديدو » البطل « اينياس » أحسن استقبال وأكرمت وقادته . وأرسلت « قينوس » « كيوييد Cupido » ليجعل « ديدو » تهيم غراما بحب « اينياس » . وذلك بإيعاز من « جونو » ، التي كانت تهذب الى استيقاه « اينياس » بجوار « ديدو » . وبذلك لا يتحقق له ما كان مقرّر أن يقوم به . وأثناء الوليمة التي أقامتها في تلك الليلة أكراما لضييفها العزيز . تطلب منه أن يصف لها سقوط طردادة ويحدثها عن جولائه جولائه وحفامراته .

وفي الكتاب الثامن يبدأ « اينياس » الرواية ، فيحدث عن سقوط طردادة وقصة الحصان الخشبي . وكيف أن أمه « قينوس » أمرته بالفرار بصحبة أبيه « آنخيسيس Anchises » وابنه أسكانيوس » ، وهو نفسه ايولوس Julius الذي قدر له أن يكون مؤسس الأسرة اليولية gens Julia . أما زوجته « كريوسا Creusa » فقد تاهت عنهم ، وبينما كان يحدث عنها . بقايله شيعها ، فقد ماتت ، ويلضى إليه أنه قدر عليه أن يمتقر في بلاد الغرب - « Hesperia » .

وفي الكتاب الثالث يتابع « اينياس » حديثه عن تجواله منذ ذلك اليوم بحثا عن الوطن الموعود . فيصلي

أولا إلى طرافيا ومنها إلى كريت ويعودا إلى بيروس .
ثم إلى صقلية حيث مات أبوه ، أنطيسبس ،

أما الكتاب الرابع فيعرض فيه « فبرجل » علاقة
« ديدو » مع « اينباس » . لقد مكث « اينباس » قرطاجة ،
عدة شهور تحوطه « ديدو » برعايتها وتغمره بحبها ؛ لقد
باحث « ديدو » لأختها « Anna » بأنها على الرغم
من قسمها ألا تتزوج أبدا بعد موت زوجها الراحل .
ألا أنها تنهار يوما بعد يوم منذ وقعت تحت تأثير سحر
« اينباس » . وذات يوم « بينما كانا في رحلة صيد »
ارغمتهما ريح عاصفة أن بحثميا في كهف ، حيث نسبا
نفسيهما ، وشربا كأس الحب حتى الثمالة . وحدث بينهما
ما ظننه « ديدو » زواجا . حدث كل هذا بتدبير من
« فينوس » وموافقة « جونو » على استمرار هذا الحب .
حتى تظل الالهتان في أمن وسلام ، ولكن « جوبيتر »
يرسل رسوله « ميركوريوس Mercurius » ليذكر
« اينباس » بواجبه . يحاول اينباس أن يدبر أمر رجيله
سرا . حتى لا يؤلم « ديدو » ولكنها تكتشف الأمر ، فتؤسل
البه إلا ينزكها وحيدة ، ولكن بلا جدوى ، فقد كان عليه أن
ينفذ ما أمر به « جوبيتر » وفي لحظة من لحظات اليأس
والآلم ، التي تسببها لوعة الفراق ، تقتل ديدو نفسها .

ان مشهد اللقاء الأخير بين « ديدو » و« اينباس »
من أروع ما كتبه « فبرجل » ، لهذا رأينا ترجمته كنموذج

من « الانيادة » . ورغم أن الترجمة بالمطبع ستفقد المشهد
الكثير من روعته وجمال أسلوبه :

٢٠٤ واخبرنا حاجمت أبنياس بهذه الكلمات :
« أيها الخائن . كنت تأمل أيضا أنك تستطيع إخفاء
مثل هذا الجرم الشنيع ، ونرحل عن بلادى سرا ؟ إلا
يمكن لحبنا وأبدنا الذى تشابكت ذات يوم وديدو التى
سمعت مينة قاسية أن تستفيك ؟ »

- ٢١٥ أنقر منى ؟ بحق هذه الدموع وبحق بمنك ،
إذا لم يبق لى شيء آخر غبرك . بالى بأثمة ، بحق
تعانقنا . وبحق طفوس عرسنا التى ما يزال فى البدابة .
لو كنت أستحق منك أى معروف ، أو كانت لمعزنى عندك
أى تقدير . أشفق على بيت يتداعى . وإذا كان ما يزال
للضراعة أى مكان فانى أضرح البك أن تطرد هذه الفكرة
من رأسك ؟

فيسبك كرهتنى قبائل لييبا وزعماء النوميديين ،
وبسبك أصبح التبريون أعدائى ، وبسبك أيضا ضاع
حبائى وتحطمت سمعى المصابة التى كنت أمنتطبع بها
فقط أن أصعد الى نجوم السماء . عن فتراكنى عرضة
للهلاك . أيها الضعيف ؟ إذ أن كلمة زوج أيضا قد
نضامت وانكمشت ؟ الى أين أمضى ؟ »

٢٢٧ لو أنى على الأقل أنجبت منك قبل رحيلك ذرية

ما . لو كان لى ايناس صغير يلعب فى ابهاء قصرى ،
فيجعلك على الأقل تعود الى فى المستقبل ، لما بدوت أمامك
بأى حال على هذه الصورة الذليلة الكسيرة ! »

كانت قد تكلمت ، بينما بقى الآخر محذفا بعينه .
بناء على تعليمات جوبيتر ، وهو يخفى بين جنبه هما
تدفينا بصر على كبح جماعه : وأخبرا يوردا-مختصرا :
« لن أنكر قط ، أيتها الملكة ، أى شيء من المضالك ، التى
يمكنك أن نعدبها كثيرة جدا : ولئن أمل من تذكر السا ،
طالما أنى ذاكر لنفسى ، وطالما أن انفاس الحياء تدب فى
هذه الأعضاء . »

لنكن كلمائى فليلة لتناسب الختام . انى لم افكر قط
فى أن احبط هذا الرجل بطى من الكتمان . لا انتصورى
هذا ، كما انى لم اعرض عليك أبدا مشاعل الزواج ،
أو أثبت لمثل هذه الارتباطات . لو أن الافئدة سمحت لى
بأن أشكل حيائى وفق هواى وأن أعمل على حل مشاكلى
بمعض رغبتى وارادنى ، لكان أول ما يحظى بأهتمامى
مدينة طردانة ورفات اصدقائى الأعزاء ، ولظلت منازل
بريام الشامخة قائمة ، ولعملت ببدي هذه على استرداد
جرجام لأبنائها المنهزمين . أما الآن فقد أمرنى أبوللو
سبب جوبيتر بأن استحوذ على ابطالبا العظيمة . ابطالبا
مفر النبوءات النبكية : هذا هو حبنى ، وهذا هو وطنى .
وانت باعتبارك فينبقة ، لو أن قلاع فرطاجة ورؤبة المدينة

الليبية قد استولت على تقسك قاي صيم قى أن يستقر
 المتيوركيون قى أرض أو سوتيا ؛ فمن حققنا نحن أيضا
 أن نبحث عن ممالك خارجية - أن طيف أبى انخيسيس
 يتدرب قى أحلامى ويحققنى يتظاراته المضطربة - كلما خيم
 الليل على العالم يظلاله التدية . وكلما طلعت النجوم
 التوهجة (كما يتدربنى أيضا) الغنى أسكانيوس والأحمرار
 التى نُزِلت برأسه العزيز . الذى أوصفته يحكم هيسبيريا
 وبالأراضى الموعودة . وأن رسول السماء أيضا . الذى
 أرسله زيوس بنفسه . واستشهد على ذلك يرأسبتا . قد
 حمل الى تعليمات خلال الهواء المنطلق ؛ وقد رأيت الآله
 فى وضع النهار وهو يتخلل الأسوار والتقطت حسونه
 يا ذنى هاتين .

اقلعى عن احراق روى وروحك بشكاباتك . فانى
 لا انيه الى ابطاليا يمحض ارادنى .

لقد كانت تحملق فيه شذرا طوال الوقت وهو ينكلم
 على هذا النحو . وهى نجيل بمبئها هنا وهنا وترمقه
 كله بتظاراتها الصامتة . ثم انفجرت فى واشتعال وقالت
 ما يلى :

• لم تكن أمك الهة . ولم يكن دارداتوس ، أبها
 القادر . مؤسس عتصرك . ولكتك جيلت من صخر أصم .
 ان انجبتك جبال القوقاز المريعة . وأرضعتك تمرات
 هيركاتية .

فلما ذا أخفى الحفيفة ؟ ولأى مصائب أجل أدخر
نفسى ؟ فهل يمكن أن أتصور ما هو أكثر مهانة من ذلك ؟
والآن والآن فقط لا تتظر جنود العظيمة ولا أبوها
سانورثوس الى هذه الأمور بنظرة متعادلة .

ان الاخلاص لا امان له على الاطلاق : لقد رحبت
به عندما جاء الى شاطئى شربدا طريدا . وجعلته فى
لحظة جنون شربكا لى فى الملك :

كما انقذت اسطوله من الضباع وبحارته من الموت .

وبلاء : انى اتقلب محزنة بنار من الغضب ! والآن
فان ابوللو كاشف الغيب والنبوءات الليلية ورسول
السماء الذى ارسله زبوس بنفسه . يحمل الآن الأوامر
الخطيرة خلال الهواء .

هذا بالطبع هو كل عمل آلهة السموات العلى ! وهذا
هو الهم الذى يقلق راحتهم ! انى لئن استيقظك ولن أرد على
ادعاءك ؟

اذهب لنحملك الرياح الى ابطالبا . ولتبحث عن
الممالك وسط الأمواج .

وانى أتمنى فى الواقع أن تتجرع كأس الشفاء وسط
صخور البحر .

أد لموت منقطع قوى الآلهة الطيبة ذلك ، وأن نهتف
باسم ديدو مراراً وتكراراً .

ورغم بعدى عنك ، فأتى سوف أقننى اثرك بالنيران
المريعة ، (نيران الهات العضب) .

وعندما ينزع الموت البارد الروح عن أعضائى ،
فإن طبفى سيلاحقك فى كل مكان : أيها الناكز للجحبل ،
سوف ينزل بك العقاب .

وسوف أسمع بذلك ، إذ ستحصل الى الرواية حتى
ولو كنت فى أعماق العالم الآخر . . .

فالت هذه الكلمات وقطعت الحديث من منتصفه ،
وانطلقت بسرعة وكان مرضاً أصابها ، وثأت بنفسها عن
ناظرية واندفعت الى الخارك ، ناركه أباه وقد انقلب
لسانه بخوف شديد ، وأن كان يود أن يقول الكثير .

أما هى فقد انهضتها الرصيفات وحملن أعضائها
المنهارة الى حجرتها المرموية وأرقدنها على السرير . . .

ولكن ابنباس الطبيب ، رغم أنه بذوق الى أن يخفق
من الامها بالنسربة عنها ، وإلى أن يزيح عنها الهوم
بكلماته ، فإنه يش أنبنا موجعا ، ويضبط على قلبه المعذنة
بحبه العظيم .

(٣٩٦) ويعود الى الأسطول تنفيذاً لأمر السماء .

« ويبدو أن » فيرجيل « في هذا الكتاب قد تأثر
 بروماتسية مدرسة الامكتورية . وخاصة بعمل
 « أيلولونيوس الرودي » المسمى « أرجوناوتيكًا » ، شخصية
 « يبدو » تنسبه الى حد ما شخصية « مينيا » . إلا أن
 « يبدو » أقوى شخصية وأكثر رومانتيكية . وفي هذا
 الكتاب نظهر على « أبناس » للمرة الأولى والأخيرة
 مظاهر الضعف الانساني ، ولكنه قد يبدو أيضا ، كما
 رأى البعض (٦٢) . خميسا جديرا بالازدياء ، فقد قبل
 حب « يبدو » ثم هجرها وتركها للياس والموت ، كما أن
 رده عليها في الدفاع عن نفسه يغلب عليه منابع المنطق
 والبلاغة الباردتين . ولكن يجب أن نذكر دائما أن « أبناس »
 طبقا لتصوير « فيرجيل » له ، ليس لديه الا قدر ضئيل
 جدا من حرية الإرادة ، وهجره « يبدو » أمر حتمي . فهو
 تنفيذ لقوة ارادة السماء ، التي نتحكم في آمال الناس
 ولا نعتى بأي شيء عارض يفلح حائلا دون تحقيق ارادتها ؛
 وان ما جرى لأنطونيوس وما جناه عليه حبه لكليوباترا
 كان هدها ما يزال بتردد في أرجاء الامبراطورية ، عندما
 بدا ، فيرجيل ، يكتب « الانبادة » ؛ وقد يكون غرض
 « فيرجيل » الإشارة الى أن حب أي امرأة ، مهما كانت ،
 يجب أن يعد أمرا ناقيا ، اذا قيس بمصالح الامبراطورية ،
 وكان حائلا أمام بناء مجدها العظيم .

(٦٢) انظر :

T.E. Page. Virgil, Aen. VI Intr. pp. xx-xxi.

وعلى كل فان هذا الكتاب يكشف عن حدة في
الطبع . وتأجج في العاطفة ، وقدرة فائقة على خلاق
المواقف الدرامية ، وهي مزايا لم تكن ليظهر منها في
أعماق « فيرجيل » السابقة إلا لمحات خاطفة .

أما الكتاب الخامس فهو يمثل مرحلة انتقال نخلف من
حبة حاسة « ديدو » ، ونشهد لغموض وروعة الكتاب
السادس . كما أنه يقدم فرصة بحاكي فيها « فيرجيل »
بعض المشاهد من « هومر » . فقد خصص معظم هذا
الكتاب لعرض الألعاب النارية أفاعها « أبنياس » . بعد عودته
إلى صقلية ، احتفالا بمرور عام على وفاة أبيه : وهي
نسبه إلى حد كبير الألعاب النارية أفاعها « أخيل » تكريما
لموت صديقه « بانروكلوس » . كما صورها « هومر » في
الكتاب الثالث والعشرين من « الإلياذة » . وينتهي الكتاب
بانقاذ بعض سفن « أبنياس » بمعجزة من الحريق الذي
اشتعل في الأسطول بأمر من « جوتو » ، وبغرق
بالينوروس Palinurus . مرشد سفينة « أبنياس »
كفدية لسلامة الآخرين .

وبهذا الكتاب السادس بوصول « أبنياس » إلى
ساحل إيطاليا . وما أن يصل حتى يأخذ في البحث عن
العرافة « سيبيل Sibylla » في « كوماي »
أن « فيرجيل » في هذا الكتاب يبدو أكبر غنى وثراء
وأكثر استقلالا وبعداً عن النقل والتقليد ، فقد جمع

« فيرجيل في هذا الكتاب كل ثمار دراسته وثقافته وإطلاعه
 عن الأساطير والنبوءات والطقوس وعن التاريخ
 والفلسفة ووضعها جميعاً في تلك الصورة الخيالية الرائعة
 التي صور بها رحلة « إنياس » إلى العالم الآخر وكشف
 بها عن أحداث المستقبل . هذا رغماً من الشبابه الظاهري
 بين رحلة إنياس إلى العالم الآخر في أسبادة « فيرجيل »
 ورحلة « أوديسسوس » في الكتاب الحادي عشر من
 « أوديسا » هومر . »

إن الكتاب رائع وممتع . وإن الصورة التي رسمها
 فيرجيل لنزول الوحي على المصوافة لدى إحدى الصور
 الجميلة التي جاءت في هذا الكتاب .

(٤٥) كانوا قد وصلوا إلى الأعتاب . عندما قالت
 العذراء :

« هذا وقت طلب الوحي . الإله . هان الإله ! »
 وفجأة لم يبق لهذه امرأة . التي قالت مثل هذا الكلام
 أمام الأبواب ، نفس اللامع . كما لم يبق لونها على
 حاله . ولم يعد شعرها ممسحاً . بل أخذ صدرها يعلو
 لاها ، ويفتح قلبها بينن وحشي : وهي تبدو وكأنها
 أكبر مما هي . ولا ننطق بها هو آدمي . فقد نفت فيها
 الآن من قوة الإله القريبة .

فهي تقول : « أي إنياس الطروادي . يتأخر عن

مقدم النذور والأدعية ، اتأخرو ؟ فقبل ذلك لن تفتح الأبواب
الحظيعة لهذا المنزل الذي أصابته الدهشة ، ثم صنعت
بعد أن قالت هذا الكلام .

لقد سرت في عظام النيوكريين الجامدة رعدة بارزة .
ثم انهمز إليك بالدعوات من أعماق فؤاده :

« يا فوييوس ، يا من كنت تعطف دائما على الشدائد
الذقال الذي حله بطروادة . يا من وجهت سلاح بأوبس
الدرداني ويده الى جسد سليل أياكوس ، انى بارشادك
دخلت بحارا عديدة تحف بلادا عظيمة ، وقبائل الماسيلي
الفاضية ، والحقول التى تمتد امام صخور سسيرتيس ،
وما نحن الآن فى النهاية فنشبت بمواطىء ايماليا التى
نحاول الهرب منها : وانى ادعو أن يكون خط طروادة قد
تبعنا الى هذا الحد فقط . »

٧٧ - واكن الكاهنة . ولم تعد تطيق الآن فوييوس ،
فانها تضطرب فى الكهف اضطرابا وحشيا ، بأمل أن
نتمكن من اخراج الاله العظيم من صدرها ، ولكن كلما
ازداد اضطرابها . كلما ازداد فعما المجنون انهاكا ، وقهر
قلبها لتوحش وشكلها قهرا .

وانفتحت الآن ابواب المنزل المائة الضخمة .

انفتحت من نفسها تجعل اجابات الكاهنة خلال
الهواء :

« انت يا من انتهيت اخيرا من احوال البحر
العظيمة ، ان احورا أكثر خطورة تنتظرك على البر ؟
سبصل الدردانيون الى مقاطعة لافينبوم ، اطرح هذا
ارى حروبا .

حروبا مريمة ، ونهر التبر بقبض بدم غزير ...

(٩٢) ان مثل هذا الشر المستطير ، الذى سيقبض
بالتيوكرين .

سيكون حرة اخرى بسبب زوجة اجنبية وعرس
اجلبى .

اما انت فلا تخضع للشرور ، بل عليك ان تتقدم
بجراة لمواجهة .

على الطريق الذى يسمح به قضاؤك وقدرتك ، ان
اول طريق للنجاة ،

وهذا آخر ما يخطر لك على بال ، سبفنج من مدينة
يونانية .

وعندما برجو ، اينياس الكاهنة ان تسمح له
بالذهاب الى العالم الآخر ، ليشاهد ابناء مرة اخرى

فأنها نطلعه على الطريقة التي تمكنه من تحقيق مأربه .
 كما نطلب منه البحث عن الغصن الذهبي ونزعه . إذ
 بدونه لن تفتح أبواب العالم الآخر ! ثم تأمره بدفن جثة
 برى جثة « ميسينوس » Misenus ضارب النغير الذي
 أخذ زملائه . وبعد خروج « أبنياس » من كهف العرافة ،
 أغرقته الآلهة لتعديد آياها بموسيقى نغبره . التي كان
 يلعب بها حماس الرجال فبهبون للغنال ثائرين . فينفذ
 أمر الكاهنة في الحال ويقوم بطقوس الدفن .

٢١٢ - وفي أثناء ذلك لم يقل بكاء التوبكرين على
 الشاطئ .

من أجل ميسينوس ، وقاموا بتقديم الطقوس الأخيرة
 الواجبة .

للرفات الذي فقد الشعور ، فقد هبوا له أولا مكانا
 ضخما للأحراق .

وغنيا بقطع من خشب الأناناس والبلوط ، ونسجوا
 الجوانب بأوراق قانصة ، وفي الأمام وضعوا أشجار
 السرور الجنائزية ، الزينوا الجزء العلوي بأسلحة
 وضاعة .

أصرح قوم بأعداد الماء الساخن في قدور نحاسية
 تغلى . . .

• فوق الذهب ، وغسلوا جنمان الميت البارد وضموه •
ثم علا الصراخ • عندئذ يعيدون وضع الجسد
الذى سيكون عليه فوق النعش • وبلقون عليه الرداء
الفرمزي • ذلك الغطاء المعروف •

• بينما أخذ قوم آخرون يحملون النعش الضخم على
أكتافهم ، وباله من عمل محزن • ويسكنون شعلة النار
التي توضع إلى أسفل • ووجههم إلى الخلف طبقا لعادة
الأسلاف • لقد أحترفت قرابين مكدسة من البخور ولحوم
الأضحيات والأواني المنقعة بزيت الزيتون •

وبعد أن خمد الرماد وانطفأ الذهب • رشوا بالثيبذ
الرفات المتبقية والرماد الضمان • ثم وضع كوربنايوس
العظام المنجعة في اناء برونزي •

• وهو نفسه دار حول ثلاثة ثلاث مرات ليظهرهم بالماء
الهور • بأن أخذ ينثر الندى الخفيف بمصر من شجرة
زيتون مثمرة : ظهر الرجال ثم قال كلمات الوداع
الأخيرة •

أما أبذباس الورع فقد أقام قبرا ضخما • ووضع
للرجل أسلحتهم الخاصة • إلا وهي مجدافه وبوقه •
نحت في مرتفع يسمى الآن باسمه مبيجينوس •
وهو يحتفظ بذلك الاسم الخالد عبر الدهور • أم

وبعد ذلك بواصل « ابنباس » السير بحثا عن الغصن
الذهبي . حتى يتمكن من العثور عليه بمعونة زوج من
الحمام أوسلته أمه . فينوس ، لنسله عليه وما أن يعثر
« ابنباس » على الغصن الذهبي حتى ينزعه ثم يذفد
القرايين لألهة العالم الآخر .

٢٥٥ لكن انظر ، ها قد بدأت الأرض نخور تحت
أقدامهم .

عند شروق أشعة الشمس . كما بدأت أوجاء الغاية
تهنز .

وخيل إليهم أن الكلات تعوى خلال الظلام عند مقدم
الآلهة . « ابتعدوا يا من لم تظلموا على الأسراو
النفوسة . »

صاحب الكاهنة ، « ابتعدوا عن كل الغاية :

وانت يا ابنباس شق طريقك واسبق سيفك من غمده .

فهذا وقت الشجاعة . وهذا وقت القلب المنين . . .

٢٧٢ أمام المدخل نفسه وفي بداية فترات أوركوبس
استقرت الأحزان المنتقمة .

وسكنت الأمراض الشاحبة والشيخوخة المدونة .

والخوف والجوع الذي يدفع المرء الى الشرور ،
والحوز البغيض .

والموت والكدر ، وهى اشكال بنسبة المنظر ،
ثم نواف الموت اعنى النعاس ، ووجعيات النفس
الشريفة ؛

وهى الجهة المقابلة وجدت هائلة الدمار ،
وغرف الايومبئديس الحديدية ، والنزاع الجنون ،
وفد نسج شعره الشعبانى بجداول داعية .

وهى الوسط تنشر شجرة دردار ضخمة وارثة
الظلام

تنشر فروعها وأذرعتها العتيفة ، وهى التى بزعم
العامة أن الأحلام الزائفة نسمي للسكنى بها وتلتصق
بكل ورقة منها .

وبالإضافة الى ذلك رُبضت اشكال فتوحشة لحيوانات
مختلفة .

.....

٢٩٥ من هنا يبدأ الطريق الذى يؤدى الى مياه
أخرون النثرارى .

وهنا دواحة سريعة تغلى بالظمى وباضطراب عاثر
واسع .

وتصب كل الرمال فى نهر كوكيتوس ، ويرعى هذه
المباد وتلك الأنهار ملامح مخوف .

هو خارون ذو الهيثة الرثة المحبقة ، الذى له لحبة
كنة بيضاء .

نغلى عاوضيه ، وعيناه نقدحان شررا .

وتتعلق ثيابه الرثة من كنفه بمقده .

وهذا الملامح نفسه يدفع قاربه من أسفل بالمجداف .
وبدير حركته بالمضراع .

ويحمل الأجساد فى قاربه الأزرق الصدى . لقد
أصبح الآن كهلا . ولكنه بوصفه إلها له شيخوخة صلبة
مزدهرة .

الى هذا الموضع ننذاع الى الشواطىء من كل فج
كل تلك المجموع :

أمهات وآباء . وأجساد أبطال عظام .

فضت نجبها فى الحياة . وفنيان وفننيات عذارى .

وشباب حرقن أجسادهم أمام أعين ذويهم .

مثلهم كمثل العدد الجم من الأوراق المتساقطة على
الغابات .

في أول يوم الخريف ، أو كمثل أسراب الطير التي
تتجمع

من أقصى البحار لتأتي إلى الباسية ، عندما يدومها
فصل الشتاء .

الباود عبد البحار ويبحث بها إلى الأراضي الدائنة .
لقد رفض . خارون ، أول الأمر حمل « اينياس »
والكاهنة في قاريه ، ولكنه ، عندما رأى الغصن الذهبي
الذي لم يره منذ أمد بعيد ، اقترب يقاريه متهما ، واستقبلهما
مرحبا . وما أن عبر « اينياس » والكاهنة هذا النهر ،
حتى سمعا عويل وصراخ من ماتوا ولم يتجاوزوا مرحلة
الطفولة ، كما مروا بأشباح من وجهت اليهم اتهامات
كاذبة ، وبأشباح من قتلوا أنفسهم . وفي الوديان
الحزينة .

يلتقيان بمن ماتوا من قسوة الحب :

٤٢٠ وكان من بين هؤلاء ديدر الينيقية التي لم
يُندمل جرحها بعد ،

وصى متجول في الغابة المشيعة . وما أن يقف
البطل الطروادي

قريبا منها ويتعرف على طيفها خلال الظلال ،

كمن يرى أو بحسب أنه يرى القمر بطلع

في أول الشهر خلال السحاب ،

حتى انهمرت دموعه وخاطبها بحب رقيق :

« اى دينو البانسة ، أهو حق اذن ذلك الخبر الذى

وصلنى بانك مت . وانك لمقت حتفك بحد السلاح ؟

وا أسفاه ! اكننت أنا السبب فى موتك ؟ اقسم

بالنجوم .

وبالسموات العلا ، وبكل ايمان موثوق به فى العالم

السنلى .

بانى ما رحلت عن شاطنك ، آيتها الملكة ، الا مكرها .

ولكن أوامر الآلهة التى اضطرتنى الآن ان أسير

خلال هذه الظلال عبر الأماكن الوعرة الموحشة فى

الليل البهيم ،

وان اسمى فى طلب مملكتى ، والا اثق فيما ارغب ،

فى التى أجبرتنى على ان اسهب لك مثل هذا الحزن

العظيم برحيلى عنك ،

نوقف عن السير . ولا تنأى بنفسك عن ناظرى .

معن نهرين ؟ فهذه الكلمات التى أتوجه بها اليك
هى آخر كلماتى لك . هكذا أشاء الأقدار .

يمثل هذه الكلمات حاول . أنيباس . أن يهدى من
روح طيف . ديدر . ويستقر عطفها ! أما هى فلم تتأثر
علامتها من حديثة بالكثير مما يتأثر الحجر الأصم . ولدت
من أمامه كأنه عدو لها وانجبت الى زوجها السابق
« سيخابوس » . ليسرى عن أحزانها ويبادلها حبا بحب .

« بنابع » أنيباس . سيره مع الكاهنة حتى بهرا
بالأراضى المنعزلة « Arva Ultima » التى يكتظ بها من
علت سجنهم فى الحرب . ومن هناك برى . أنيباس .
أسوارا عالية بحوطها نهر « فليجيثون » Phlegethon
المتنجح . وهذه الأسوار . كما أخبرته الكاهنة هى أموار
« نارتاروس » سجن من حكمت عليهم الآلهة بالعذاب
الأبدى .

وأخيرا يصلون الى مقر الصالحين « Elysium »
حيث يلتقى بروح أبيه . أنخيسبس . الذى يكشف له
عن سير الأمور فى العالم . وعن وسائل التطهير التى
تمكن البشر من السماح لهم بدخول مقر الصالحين . كما
يخبره أبوه بأنه من هذه الأرض البهيجة « Laeta Arva »
سيعود الى العالم الدنيوى بعد ألف سنة بعض الرجال

الذين قدر لهم أن يكونوا هم الرومان العظماء ، ومن بين هؤلاء الرجال أطفاد ، إيتياس ، نفسه ، ويصق له مخامراتهم في معرض لتاريخ روما منضمنا الامبراطور « أوغسطس » وابن أخيه ووريثه « ماركيلوس » الذي اختطفه الموت وهو في وبعان الشباب عام ٢٢ ق.م فكذب عنه قبرجيل ينك المقلوعة الشهيرة (٨٦٠-٨٨٦) الذي يقال أن اسمه الشكلي « أوكتافيا » قد أغشى عليها عندما قرأها « فيرجيل » في حضرتها . وقد جساء قه نهايتها (٨٨٢-٨٨٦) : « وأسقاء أيها الغلام اليأس . لو تستطيع تحطيم القدر القاسي .

فسوف تكون ماركيلوس ! هيا املاءوا يدي بالزئيق .

دعوني انثر ازهار اليتفسيج . وأكس على الأقل

أكواعا من هذه القرابين على روح حفبدي م . ولأقم

بهذا الواجب البسيط .

وفي الكتاب السابع يعود « إيتياس » الى رفاقه وينابعون وحلقهم الى مصب نهر التيبر . فيزلون بالمدم « لاتيوم » الذي كان يحكمه . لانينوس Latinus . وكان لهذا الحاكم ابنة تسمى « لافينيا Lavinia » وكانت مخطوبة لمتورنوس Rutul ملك الروترلين

Turnus الذى يسكنون احدى المقاطعات فى نفس
 الاقليم . ولكن كانت هناك نبوءة تعلن ان الفتاة لا بد
 وأن تزوج من أمير أجنى . عندئذ يبحث « اينباس »
 بسفارة الى « لاتينوس » فبستقبلها بالفرح ، اذا بقى
 ان « اينباس » هو زوج ابنته المرتقب . وتنشأ بين الطرفين
 علاقات ودية . ولكن الالهة « جونو » كانت
 للمطرواديين بالمرصاد . فتقرر « تورنوس » الذى بغوم
 بنسليح أهل لانوم الذين اضدوا مع الرونوليين لحاربة
 الغزاة الدخلاء ، تعاونه فى ذلك « أماتا -
 Amata زوجة « لاتينوس » وأم « لافينيا » ، الأمر الذى يضطر
 معه « لاتينوس » أن يعلن سخطه عليهم جميعا وبغلق
 القصر على نفسه .

أما الكتاب الثامن فنرى فيه أن « اللنير » الأب
 قد زار « اينباس » فى المنام وأمره بالسعى فى طلب معوته
 « إغاندر Evander » حاكم مدينة باللانوم Pallanteum
 وفى الصباح أسرع اينباس الى « إغاندر » الذى صحبه
 فى رحلة حول الأرض المقدسة ، حيث قامت « روما »
 فيما بعد ، كما أراه الغاية الكابينولينية الكثيفة التى
 جعل منها « رومولوس » فيما بعد محوا بالالهة وقد
 اقترح « إغاندر » على « اينباس » أن يطلب معونة
 الانرسكبين الذين ثاروا ضد حاكمهم الطاغية « ميزينتيوس »
 واضطروه الى الخروج من بلادهم . فلبى الى « تورنوس » .

فقبل « اينياس » الاقتراح ، وخرج الى معسكر الانرسكيين ،
يصحبه « بالاس Pallas » ابن « افاندر » ، وفي
تلك الأثناء استطاعت فينوس أن تغنع زوجها « فولكانوس »
أن يصنع لأينياس عدة حربية تتضمن درعا محفورا عليه
عرضا لبعض المشاهد المستقبلية من تاريخ « روما » حتى
معركة « اكتيوم » .

وفي الكتاب التاسع تتمكن « جونو » من اقناع
« ايريس Iris » الهة النزاع أن تذهب لتثير « نوردوس »
حتى يعمل على انهزام فرصة غيباب « اينياس » ، ويقوم
بالهجوم على معسكر الطرواديين ويشتعل النار في
معسكرهم ، ولكن « نيبودوس » بحول السفن التي حوربت
من عرائس البحر ، وبناء على تعليمات « اينياس » التي
كان قد تركها لأتباعه قبل رحيله ، يظل الطرواديون خلف
الأسوار ، وفي اليوم التالي بدأ « نوردوس » الهجوم على
الطرواديين من جديد ، ونمكن من اقتحام استحكاماتهم ،
ولكنهم قطعوا عليه الطريق ، حتى أنه تمكن من التفهق
بكل صعوبة .

وفي الكتاب العاشر نرى مجلس الأمة الآلهة منعظا
وفد ثار به جدل حاد بين « جونو » و « فينوس » حول
مصير الحرب ، ولكن « جوبيتر » قرر ترك الأمر للأقدار ،
وعلى كل فان « اينياس » تمكن من عقد محالفة مع « تارخون
Tarchon » قائد الانرسكيين ، الذين اعتلوا ظهر

أسطولهم ، حتى وصلوا قريباً من معسكر الطرواديين .
 رغم مجابهة « نورنوس » لهم ، ونشبت بين الفريقين
 معركة حامية ، أبلى فيها « باللاس » ابن « أفانتور » بلاء
 حسناً ، ولكنه قتل في النهاية بيد « نورنوس » . غيثور
 « آينياس » وبنار لمقتله بالفضاء على عدداً غير قليل من
 أبطال الأعداء ، ولكن ، جونو « متمكن من انقاذ « نورنوس »
 بإيماده عن الميدان ، فينازل « آينياس » ، « ميترينبوس »
 ويقتله .

يبدأ الكتاب الحادي عشر بعقد هدنة يتم فيها دفن
 جثث القتلى وإقامة الطفوس الجنائزية لهم . ثم يعقد
 اللاتين مجلساً لمناقشة الموقف الحربي ، حيث يشرح
 أحدهم وضع حد لهذه الحرب بأن ينازل « نورنوس »
 ، « آينياس » في مبارزة فردية . ولكن هذا الاقتراح لم يلق
 التأييد الكامل أمام نصيحة « تورنوس » بضرورة محاولة
 القيام بمعركة أخرى . وعلى كل فإن هذا المجلس ينفجر
 على عجل ، إذ وصلته أنباء بأن الطرواديين يهاجمون
 المدينة ، فيهرع الجميع إلى القتال وعلى رأسهم « نورنوس » .
 بعد معركة طويلة يتراجع اللاتين إلى مدبنتهم في فوضى
 واضطراب .

وفي الكتاب الأخير من عقد هدنة أخرى بين الطرفين ،
 نيم خلالها إنهاء الحرب بمنازلة « آينياس » لـ « نورنوس »
 ولكن إحدى المراثس . وهي « جونورنا » « Juturna »

أخت تورفوس حرضت الروتوليين على خرق الهدنة بالغاء
 سهم على « ابنياس » فأصابه بجرح عميق . ولكن
 « فينوس » جعلت الجرح يتدمل في الحال ، بينما سئلت
 « أماتا » نفسها لاعتقادها أن تورفوس « قد لقي مصرعه »
 وبعد أن صالح « جوبينبر » ، « جونو » بقراره الذي يتضمن
 اتحاد الطرواديين مع اللاتين في أمة واحدة ، استنك
 البطلان « ابنياس » ، « ونونوس » في القتال ، وسقط
 « نونوس » ، « واد هو في النزاع الأخير » بطلب في رجاء
 واستعطاف أن يرد جنائنه إلى أبيه العجوز .

وكان « اينياس » على وشك أن يرق قلبه لهذا
 « تورفوس » ، عندئذ يصرخ صرخة مدوية وبهوى يستشف
 الموقف ، لولا أن رأى حزام « باللاس » حوله وسط
 غيظي عليه بضربة قاتلة .

بهذا تنتهي ملحمة « فيرجيل » الخالدة « الانبياء » .
 التي ظلت تعتبر لقرون عديدة ، وعلى الأخص في القرون
 الوسطى ، أعظم عمل أنتجته عبقرية إنسان ، ولم نخط أي
 أشعار أخرى . على الأقل في العالم الغربي . يمثل
 حثيث به هذه الملحمة من شهره واسعة وإعجابهم بالغ من
 رجال اللغة والآب ، حقيقة أن الانبياء ، باعتبارها
 ملحمة تصور الحروب والفنانات ، لا يمكن أن ترقى
 إلى مستوى الانبياء والأوديسا في قوتها وحجوبتها .
 تضاهيه كبير من ناحية الشكل يغري دائما بمقد المفارقات

والواقع أن الانبادة والأشعار الهومرية ، رغم ما بينها من
بينها ، تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا في الروح
والطبع ، حتى أنه لا ينبغي ، كما اقترح أحد النقاد (٦٢) ،
عقد المقارنات بينها ، فالأشعار الهومرية شعرة تتجاج
عبقربة فطرية نظمها الشاعر لبتغنى بها أثناء الأعباد
والاحتفالات التي كانت تنظم في العصور الأولى تمجيدا
للأبطال العظام ، وهي تصف أناسا يعيشون تقريبا بنفس
الطريقة التي كان يعيش بها من كُنبت الأشعار في عصرهم ؛
أما « الانبادة » فهي خلق فني ، كتبها شاعر بنظر الرعاية
من الإمبراطور ، وينوِّع النقد من « ماكبئاس » وجماعته
الأدبية ، وهي تحاول أن تضيء الروح على إشباح الماضي
البعيد بحيث تبدو مقبولة لدى أناس يختلفون عنهم تمام
الاختلاف في كل شيء ، ومن ثم فإن أهم ما بهم « هومر »
ومستمعه هو القصة والأحداث ، وبأني الشكل الفني في
المرتبة الثانية ، أما بالنسبة لفيرجيل وقرائه فإن الصورة
الفنية والأدبية في المقام الأول ، وتأتي بعدها حقيقة أحداث
القصة .

وفي هذه الناحية الفنية لا يشك أحد في أن
« فيرجيل » هو سيد الإيقاعات العذبة والتعبيرات
الأدبية ، فإن الوزن السداسي ، الذي كان عند « انبوس »

(٦٢) انظر :

T.E. Page Virgil, Aen. VI, Intr. pp. xviii-xix.

خشنا غير مصقول . وعند « لوكريتيوس » ، رغم قوته
واحكامه ، تنقصه الرشاقة والنزوع . قادرا على التذبير
عن كل العواطف المختلفة . وليس معنى ذلك ان الرشافة
الفنية الظاهرية هي كل شيء عند « قيرجيل » . فالمشاعر
عنده عميقة فياضة رغم انه يحاول السيطرة عليها وكبح
جماعها . وان حبه لبلاده واعتزازه بعظمتها وابطائه بان
رسالتها في حكم العالم قدر مقدور لنشر المدنية والسلام
بنخل كل الملحة تقريبا ويبرز بين عدد من الأبيات
الرائعة .

فسميها واسع السلطان مزهو بحروبه (٦٤)

وبقول على لسان « جوبتير » ،

انى لا اضع حدودا لمملكاتهم او حدا زمنيا
لسلطانهم .

فقد منحهم ملكا لا نهاية له (٦٥) .

ونحن انفسنا سنرفع الى النجوم أحفادك في المستقبل

وسنفتح مدينتهم سلطانا (٦٦) .

(٦٤) الانتباه . ١ . ٢١ .

(٦٥) الانتباه . ١ . ٢٧٨-٢٧٩ .

(٦٦) الانتباه . ٣ . ١٥٨-١٥٩ .

تذكر ، أيها الروحاني ، أنك تحكم الشموب
بنفوذك .

سنكون لك هذه الغدون

التي تسن بها قانون السلام

وتعفو عن المهزمين ، ونحارب المنعرجين (٦٧) .

ولكن رقة « فيرجيل » وحزنه الممزوج بالتفكير العميق
هما سر خلوته . فهو يفكر طويلا . وينال من غفبات
القدر وقصر الحياة البشرية . ولكن حزنه لم ينزل أبدا إلى
مسنوي اليأس ، فالدرس الذي استفاده من أن الموت حق
وأن الحياة قصيرة ، هو الدافع إلى الأبحاث بضرورة العمل
والكفاح .

لكل إنسان يوم معلوم ، وإن وقت الحياة قصير
لا يعوض بالنسبة للجميع ، ولكن بالأعمال الجيدة .
نعتقد الشهرة . وهذا هو عمل البسالة (٦٨) .

إن « فيرجيل » متدين بدرجة عميقة ومؤمن إيمانا
جازما بوجود قوة مسيطرة تكافئ الأخيار (٦٩) وتحارب

(٦٧) الانبياء . ٦ . ٨٥٢٨٥١ .

(٦٨) الانبياء . ١٠ . ٤٦٧-٤٦٩ .

(٦٩) الانبياء . ١ . ٦٠٢ وما بعده .

الإنشراح (٧٠) ، ولكنه حائر أمام لغز ذلك القدر المحتوم (٧١) .

وعلى كل حال فإن أعمال « فيرجيل » كانت تقرأ
فى غنصره على نطاق واسع . حتى لقد أدخلت ضمن
المقررات المدرسية فى مدارس الأدب والخطابة (٧٢) .
مما كُنَّ له أكبر الأثر لا على الألب فحسب بل على اللغة
اللاتينية كلها ، كما أن أعماله أصبحت موضوعا للتعليق
والتحليل لكثير من النقاد والمعلقين والمهنيين باللغة وكان
« دانتي » يعتبره أسناده ومرشده فى الجزء الخاص
بالجحيم (٧٣) . وبلغ من نفوذ الناص لفيرجيل أن اعتبروا
أعماله كالإزلام « Sortes Vergilianae » يستشهدون بها
قبل القيام بأى عمل هام ، كما يفعل العامة الآن بالكتاب
المقدسة . كما أن المسبحين الأول كانوا يهرون فى الرعوية
الرابعة ما يبشر بظهور المسيحية (٧٤) .

(٧٠) الإنشراح ، ٢ ، ٢٢٥ وما بعده .

(٧١) الإنشراح ، ٨ ، ٢٢٤ وما بعده .

(٧٢) قارن سويتزنيوس ، عن المنهاج ، ١٦ ، جرجينال ٧ ، ٢٧٧

دانتي .

(٧٣) انظر دانتي ، الجحيم ، ٦ ، ٨٧-٨٥ .

(٧٤) قارن ٤ .

Duff, op. cit., pp. 351-352; T.E. Page, Virgil, BUC, Intr.
pp. xv-xvii.